(ريبورتاج) على ارتفاع ٢٧ الف قدم

بعد سبات دام ١٤ عاماً:

البوينغ ٧٣٧ تدشن عودة الخطوط الجوية العراقية الى الاجواء الدولية

احمد السعداوي

في كثير من الافلام السينمائية يبدو مشهد تحليق الطائرة او ركوب بطل الفلم طائرة والتحليق بها مشحوناً بدلالات رمزية كثيرة ، ليس اقلها الاشارة الى الانعتاق والتحرر ، والتخلص من الجاذبية المرهقة للارض وما عليها. وليس آخرها الهروب والفرار.وفي (فلمنا) العراقي المشحون بالدراما والاحداث المتلاحقة ، سيبدو مشهد طائرة (البوينغ ٧٣٧) المدنية وهي تحلق من مطار بغداد الدولي مخترقة غيوم الظرف العراقي وتقلباته. وكأنه خرق استثنائي لمتوالية الطائرات العسكرية والحربية التي امتلكت الاجواء العراقية ، واصبحت من معالمها الاساسية ، بل ان مشهدها - الطائرات العسكرية- اقترن بالسماء العراقية اكثر من المشهد المألوف.. العصافير والطيور والطائرات الورقية!

المطار عاد مطاراً

اعلى من الطائرات الورقية، واكثر حزماً من اهتزازاتها الطفولية.. تمخر طائرة الخطوط الجوية العراقية (الوحيدة!) البوينغ ٧٣٧ هواء بغداد في رحلات شبه منتظمة الى عمان ودمشق حاملة على متنها، في كل رحلة، عدداً محدوداً من المسافرين لتدشن بهذه الخطوة المتواضعة عودة الخطوط الجوية العراقية الى السماء الدولية، ولتضع فوق ذلك، نقطة ضوء جديدة تزيد من مساحة التفاؤل في الواقع العراقي شبه المعتم.

احتياطات امنية مشددة حول المطار (الذي عاد مطاراً) وعلى الرغم من الوجود العسكري الامريكي الواضح حول ابنيته الرئيسة. الا ان المطار لم يعد مجرد ثكنة عسكرية.. انه يسعى لتجاهل سمعته الاعلامية المدوية بإعتباره نقطة الدخول الاساسية لقوات الاحتلال لبغداد والمقر الاول والاكبر لتجمع قطعاتها العسكرية. وعلى الرغم من جو الترقب والحذر من اية اعمال ارهابية تجاه العاملين في المطار وتجاه الطائرات المحلقة والهابطة. . الا ان الطائرات بدأت تطير فعلاً.. ومنذ شهرين تقريباً.. لقد عاد المطار حقاً.

بداية جديدة

ومثلما هي كل مفردات الواقع العراقي الجديد هناك بداية من الصفر فوق ركام الخراب والحطام وفي العادة نقطة البداية تكون عبارة عن ترميم ما هو متبق. او ما يمكن ترميمه.. وكانت طائرة البوينغ ٧٣٧ هي نقطة البدء لعمل الخطوط الجوية العراقية.

للوهلة الاولى لا تبدو هذه الطائرة الصغيرة والعتيقة قادرة على التحليق حقاً، وملاحظة آثار الترميم والاصلاح على بدنها.. وكذلك وجود مقعد مفقود ضمن صفوف مقاعد المسافرين.. اشياء لا تبعث على الثقة بالطبع بقدرة هذه الطائرة على القيام بعملها على خير ما يرام. ولكن التأكيدات جاءتنا من كل مكان ان الطائرة مضبوطة (١٠٠٪) وان ملاك الخبراء والفنيين في الخطوط الجوية العراقية اشتغلوا عليها بشكل جدي ولفترة ليست بالهينة من اجل ايقاظها من سباتها في احد مدارج الدول المجاورة. وانها - في صورتها الحالية- مستوفية تماماً شروط السلامة والامان ومهيأة بشكل كامل للرحلات التجارية.. وان مراقبتها ومتابعة النواقص والاعطال التي تعتريها تتم بشكل يومي مما لا يتيح - قطعاً- لأي خلل جوهري بالبروز.

على الرغم من كل ذلك، الا ان الفكرة الشائعة والمبسطة بأنني سأركب في كومة حديد ترتفع في الهواء لم تغادر ذهني وانا ارتقي السلم الى جوف البوينغ ,٧٣٧ وهذه الخشية لا تتعلق بهذه الطائرة وانما بفكرة الطيران كلها.

وبالنسبة لمن (يمتطي!) الطائرة أول مرة ينتظر في العادة ان تسلك الطائرة سلوكها المعتاد ولكن، مثل اشياء (عراقية) اخرى كثيرة، بدا ان سلوك البوينغ ٧٣٧ في هبوطها الى (وصعودها من) مطار بغداد هو شيء استثنائي وغير معتاد ايضاً. فبدلاً من صعودها بخط مائل بالقياس الى مستوى سطح الارض - راحت تلتف بشكل حلزوني صعوداً الى ارتفاع لم يرغب العاملون على الطائرة في ذكره لأسباب امنية. ومن هذا الارتفاع تنطلق بخط مستقيم نحو وجهتها. الالتفاف الحلزوني كان لأسباب امنية ايضاً.

ركاب قليلون، لا يتعدى عددهم في كل رحلة الـ ١٩ راكباً ومقاعد كثيرة فارغة، اغلب المسافرين هم من العراقيين. والرحلة التي تستغرق براً. وباحدث السيارات ١٢ ساعة في افضل الاحوال، نحو عمان او دمشق. تأخذ مع الطائرة ٩٠ او ١٠٠ دقيقة لا اكثر من لحظة المناداة على المسافرين داخل الصالة للتوجه نحو بوابة المطار الى لحظة توقف الطائرة في عمان او دمشق .

حياتي عادت اليّ

كنت اريد ان اجري حواراً مع كابتن الطائرة، ولكن على ارتفاع اكثر من ٢٧ الف قدم. بدا لي هذا الطلب اخرق. (انها ليست كية عزيزي!) قال لي مسافر في المقعد المجاور. ارواحنا معلقة بانتباهة ويقظة ومهارة هذا الكابتن. اكثر مما هي معلقة بأي (كابتن) آخر في اية مركبة اخرى. وعلى الرغم من اقتناعي التام بهذا الكلام. الا ان فضولي تعرض لنكسة، فحتى لو كنت صحفياً تبقى (قمرة) القيادة مغلقة امام وجهي ما دامت الطائرة محلقة.

المضيف الاقدم قاسم الدراجي تكفل بالاجابة عن اسئلتي، اذ قال ان الخطوط الجوية العراقية عملت ومنذ مدة ليست بالقصيرة على اعادة الحياة الى مفاصل الشركة، وانه باشر بالعمل على متن البوينغ ٧٣٧ منذ شهر تقريباً.

كان الطيران المدني قد توقف في العراق عام ,١٩٩٠ وخلال الحرب في ١٩٩١ جثمت الطائرات العراقية في مطارات الدول المجاورة. وبالتحديد لدى طهران وعمان. وما زالت قضية الطائرات العراقية لدى ايران مشكلة عالقة. لأنها - اي ايران- لا تتعامل مع هذه الطائرات على انها ودائع . هناك ايضاً طائرات - ولربما طائرة واحدة - لدى تونس، كانت هناك ولم تحلق ابداً بسبب نشوب تلك الحرب، والعقوبات الدولية فيما بعد.

قاسم الدراجي يقول انه قضى ثلاثين عاماً موظفاً في الخطوط الجوية.. وسافر مئات المرات.. على طائرات مختلفة. وتحليقه الآن مع البوينغ ٧٣٧ يمثل بالنسبة له حدثاً كبيراً (لقد عادت حياتي الي. بعد ١٤ سنة من الركون من دون عمل.. لا استطيع ابداً وصف مشاعري وانا اعاود ممارسة مهنتي الاثيرة الى نفسي).

كانت اول رحلة للبوينغ ٧٣٧ - كما يقول قاسم الدراجي قد انطلقت من مطار بغداد الى مطار عمان ومن هناك انطلقت الى مطار دمشق لتعود بعدها الى مطار بغداد.

وعما اذا كانت هناك خطوط جديدة ستفتح بين بغداد والعواصم الاخرى. اجاب قاسم إن العمل جارٍ الآن من اجل فتح خطوط جديدة، وستتم المباشرة بها حال ورود الطائرات الينا. وستكون اول دفعة هي اربع طائرات حديثة تعاقدت الخطوط الجوية العراقية على شرائها، ويقول قاسم، ان الملاك الحالي على ملاك الخطوط الجوية لن يكفي خلال السنة القادمة لأن الملاحة الجوية ستزداد بشكل ملحوظ، والملاك الحالي لا يمثل الا نسبة ضئيلة من الملاك الفعلي الذي كان للخطوط الجوية العراقية.

بعد سبات طويل!

اين ذهبت ملاكات الخطوط الجوية العراقية؟

يقول حسام الدين ابراهيم الموظف الفني في طاقم الطائرة: كان هناك اكثر من ٤٠٠ مضيفة في الخطوط الجوية العراقية لكن الآن العدد هو اقل من ١٠٠ ، وبسبب توقف الملاحة الجوية لمدة (١٤ سنة) تسرب الكثير من المضيفات الى خطوط دولية اخرى. وبعضها الآخر آثر الانزواء وترك الوظيفة مثلما حصل مع الطيارين والفنيين. ومن المعروف عالمياً ان الطيار المدني العراقي هو من امهر واكفأ الطيارين في العالم. وليس ادل على ذلك من منح (الاياتا) المنظمة الدولية للطيران عدداً من الاوسمة للخطوط الجوية العراقية وللطيارين العراقيين.

الخطوط الجوية العراقية لم تشهد خلال مسيرتها اية حوادث او مشكلات بسبب الاخلال بالواجبات او التقصير في اداء العمل. ولكن القدر كافأها بسبات دام ١٤ عاماً.

سوزان وبشرى، المضيفتان على البوينغ ٧٣٧ ، اكدتا الكلام السابق، وقالت سوزان: انها كانت تعمل خلال الفترة الماضية في الخطوط الجوية الاماراتية وعلى طائرة صقر الخليج، اما بشرى فذكرت ان عودتها الى الرحلات الدولية كانت مع البوينغ ,٧٣٧ وقبلها كانت تعمل على الخطوط الداخلية بين بغداد والبصرة والموصل.. وللمفارقة كانت آخر رحلة داخلية لها هي في يوم بدء الحرب الاخيرة. ويقول نصير عواد كريم (امن الطائرة): ان حياتنا ورزقنا على عمل هذه الطائرة ونتمنى ان تكثر الرحلات لتزدهر الشركة وتعود الى نشاطها السابق.

واضاف: من الناحية الامنية، وخلال ٤٠ سنة لم يحدث اي حادث مخل بالامن على متن الخطوط العراقية، والحراس ورجال الامن متيقظون دائماً ويقومون بواجباتهم على اتم ما يكون.

مكلف وذو مزايا

السفر بالطائرة مكلف بالتأكيد قياساً للسفر عن طريق البر. ولكن هناك مميزات بالاضافة الى التي ذكرناها سابقاً.. تجعل المسافرين جواً يفضلون هذه الواسطة على غيرها. على الرغم من كلفتها العالية.. علي احمد الدليمي الذي يعمل في شركة تجارية يقول إن عامل الوقت مهم جداً بالنسبة له، لذا فقد ابتهج بعودة الخطوط الجوية العراقية للعمل، وبعودة مطار بغداد الى وضعه السابق. ان كلفة تذكرة الطائرة ليست شيئاً امام الخسارة التي يمكن ان يمنى بها بسبب التأخير والاجهاد بالسفر عن طريق البر.

عبد سالم الذي يعمل في الاستيراد والتصدير.. يقول ان التعامل مع المسافرين في الطائرة اكثر تحضراً من التعامل مع المسافرين في النقاط الحدودية (البرية) كما ان الاجراءات اقل تعقيداً. والزخم اقل بالاضافة الى الطرق البرية بين بغداد وعمان ودمشق في الوقت الراهن غير مأمونة ويمكن ان يتعرض المسافر فيها الى حوادث تسليب.. خصوصاً اذا كان السفر الدائم ركناً اساسياً في عمله - كما هو وضعي الشخصي.

اشخاص آخرون لم يبد انهم تجار او رجال اعمال. وانما مسافرون عاديون. بعضهم سيرى بغداد للمرة الاولى بعد فراق طويل، قادماً اليها من دمشق. وآخرون كانوا في رحلة علاج.. الغايات تختلف لكن الجميع ابتهجوا بالبوينغ ,٧٣٧

هبوط

من المهم رؤية بغداد من نافذة طائرة تستعد للهبوط على مدرجات مطار بغداد .. انها اكثر جمالاً مما نتصور. ان كثيراً من المظاهر التي تصدمنا بسوئها تبدو ذائبة ومتلاشية من نافذة طائرة، امام قوة ورصانة مظاهر اخرى.. يبدو ان بقاءها هو ما يعني بقاء بغداد، هذه المدينة الكبيرة والشاسعة والنابضة بالحياة.

(انتباه رجاء.. هبطنا الآن في مطار بغداد الدولي.. درجة الحرارة في العاصمة بغداد ٣٠ درجة مئوية والوقت هو الثالثة و ٣٥ دقيقة بعد الظهر. شكراً لسفركم على الخطوط الجوية العراقية.. ونتمنى لكم اقامة ممتعة في بغداد).

كان هذا صوت المضيفة سوزان في مايكرفون الطائرة.. الذي رافق حركة عجلات الطائرة المتباطئة على مدرجات المطار، قبل ان تقف ونستعد للنزول.

(اقامة ممتعة في بغداد؟!) آمل ذلك.

استطلاع مثير اجرته ( ) بين شرائح مختلفة في الشارع البغدادي يؤكد:

الاكثرية لا تعرف شيئاً عن الانتخابات القادمة .. موعدها وكيفيتها وآلياتها

عامر القيسي
تصوير نهاد العزاوي

انا لا اعرف بالضبط وقت اجراء الانتخابات هناك تعتيم على طبيعة هذه الانتخابات. وشخصياً ليست لدي اية فكرة عن شخصية المرشحين. ولا اعلم حتى عن الطريقة التي ستجرى فيها!).

ما ادلى به الدكتور البيطري محمد صهر (٣٧ عاماً) اعلاه يمثل واحدة من اجابات الاستطلاع الذي شمل شرائح متنوعة تمثل عينة عشوائية للشارع البغدادي اجابت عن اسئلة محددة تتعلق بالانتخابات القادمة في العراق من حيث وقتها واسلوبها. والغاية منها والعوامل التي تؤثر في اختيار الناخب.

وقد لمسنا من خلال هذا الاستطلاع بقايا الجدار الخوف الذي لا يزال يفصل بين المواطن وبين رغبته في ابداء رأيه بحرية وطلاقة نتيجة لتراكمات الفترة السابقة.

فقد امتنع البعض من كلا الجنسين ومن اعمار مختلفة عن الادلاء بآرائهم في موضوعنا هذا وحصلنا على اجابات جوهرها: آسف لا علاقة لي بهذا الموضوع. فيما ابدى الاكثرية ليس رغبة في الاجابة على اسئلتنا فحسب وانما طرح المزيد من الآراء والمقترحات التي اتسمت بالصراحة والجرأة.

اشراف دولي

اتفق المواطن صلاح جعفر (٣٥ عاماً) صاحب محل تصوير، والملازم اول شرطة مرور طارق غصيب (٢٨ عاماً) على انهما يعرفان أن الانتخابات ستجرى، وان وقتها هو بداية العام المقبل، لكنهما يؤكدان ان انتخابهما يرتبط بشخصية المرشح وتاريخه السياسي وبرنامجه الاقتصادي. وان الاشراف الدولي قد يضمن سلامة الانتخابات. وانهما لا يعرفان غير اسلوب صناديق الاقتراع في هذه العملية، ويذهب معهما في هذا الرأي المواطن احمد عبد الله مدرس لغة انكليزية (٤٧ عاماً) الذي قال ان الانتخابات النزيهة لن تكون من دون حماية دولية.

وطنية المرشح اولاً

كريم عبد السادة (٣٤عاماً) بائع سجائر وحلويات، وصفي خير الله (٤٠ عاماً) بائع فواكه جوال، والاثنان من منطقة الباب الشرقي،يتمنيان ان تكون الانتخابات ديمقراطية اما كيف، فهما لا يعرفان سوى انهما سينتخبان المرشح الذي له تاريخ وطني حقيقي معروف. واضاف وصفي بأنه يتمنى انه يشاهد انتخابات بدون تدخل خارجي من اية جهة كانت.

نسمع فقط

ويتفق المواطنان عدي جريان (٢٨ سنة) ضابط مرور وعماد نجم عبود (٣٠ سنة)سائق تكسي، بقولهما انهما لا يعرفان اي شيء سوى ان الانتخابات ستجرى في بداية العام المقبل. اما كيف ومن يرشحان فهذا شيء مجهول كما يقولان، يشاركهما في هذا الرأي فائق الحمداني (٤٣سنة) كاسب لكنه يضيف: اكيد كل واحد وجماعته شاطرهم رأيهم المواطن عبد الكريم محمد (٤٥ عاماً) كاسب الذي لم يحفل كثيراً بحديثنا لكنه علق) غير نشوفهم اول مرة!) يقصد المرشحين. وكان للحاجة صفية جاسم (٦٥ عاماً)، لا تقرأ ولا تكتب، رأي تقول فيه ان اولادي يعملون في السياسة والاحزاب واسمع منهم الكثير وتتابع: اسمع بالانتخابات ولا اعلم عن موعدها شيئاً، واذا طلبوا مني ان اختار، سأختار الذي يأتي بالخير للشعب). وهل تعرفين يا حاجة من تختارين؟ سألناها، فأجابت بحزم: لا ، لا!

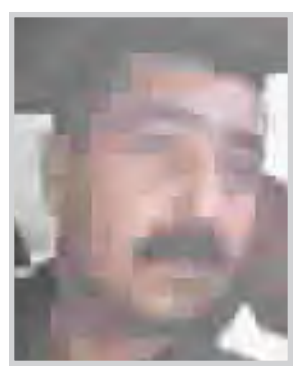

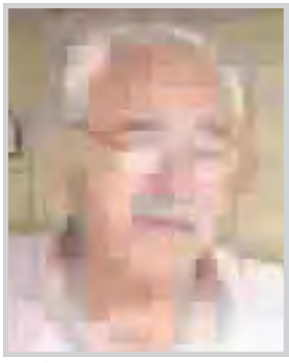

معظم المستطلعة آراؤهم يعتقدون انهم سينتخبون مرشحاً للرئاسة لا غير

لا يثقون بأحد!

اما رحيم فهد، عامل بناء (٣٤ عاماً) فهو يعتقد أن الانتخابات ستجرى عام ٢٠٠٥ وان صوته لن يذهب الى اي من الشخصيات المعروفة لعدم ثقته بهم، والسبب كما يقول ان تغييراً مهماً لم يحصل في حياته، على الرغم من كل التصريحات التي يسمعها. اما عن طريق الانتخابات فهو لا يعرف عنها شيئاً.

استوقفنا الشاب محمد عبد الله (٢٩ عاماً) وهو خريج معهد الادارة الذي قال لنا: ان الانتخابات ستجرى في الشهر الرابع من عام ٢٠٠٥ وليست لديه اية فكرة عن المرشحين. لكنه اكد أن الانتخابات ستجرى بطريقة صورية (والطبخة جاهزة وما تريده امريكا هو الذي سيمشي) حسب قوله. واضاف: لدي مقترح، الا تستطيع الحكومة ان تصدر كراساً توزعه على المواطنين مجاناً، يتضمن توضيحاً عن ماهية الانتخابات وكيف تجرى، واذا كانت الحكومة لاتفعل ذلك. تستطيع الاحزاب ذلك وهي اكثر من مائة حزب!؟

عامل الحدادة سليم محمد ١٨ سنة، قال لنا من دون اكتراث: لا اريد ان اعرف اي شيء عن الانتخابات، وعندما سألناه عن السبب، اجاب من دون تردد: الانتخابات لن تكون ديمقراطية!

خوف واختلاط

امرأتان ملفعتان بالعباءة حاولت ان استدرجهما لإبداء اي رأي او التعليق عن تصوراتهما عن الانتخابات القادمة، الا ان جهودي ذهبت ادراج الرياح، فقد اصرتا على انهما لا تعرفان شيئاً ولا علاقة لهما بمثل هذا الموضوع، وكان لصاحب محل(... وهو تاجر مواد انشائية)، الموقف نفسه، فقد رفض الادلاء بأي رأي بقوله لا علاقة لي بهذا الموضوع! وقد لاحظنا خلال جولتنا بين هذه الشرائح أن تصورهم عن الانتخابات، ينصب حول انتخاب رئيس الجمهورية وليس انتخاب المجلس الوطني، وقد حصلنا على العديد من الاجابات بعد توضيح هذا الاختلاط.

لا نعرف كيف نرشح !

سعاد الكروي (٦٠ عاماً) مديرة مدرسة تقول: اعرف بالانتخابات وموعدها ولكنني بصراحة لا اعرف من ارشح ولا كيف اقوم بذلك ولكن الاكيد ان برنامج المرشح هو جواز مروره للحصول على اصوات الناس، وتؤيدها هذا الرأي ميادة سركيس، الطالبة في جامعة بغداد (٢٢ عاماً) التي اضافت من يخدم برنامجه الشعب العراقي من دون طائفية ، يذهب صوتي اليه (او اليها).

ويعاني هذا الجهل بآلية الانتخابات، المواطن فاضل عبد الحسن (٦٩ عاماً) متقاعد، الذي قال: اعلم بأن انتخابات ستجري ولكني لا اعلم عنها شيئاً ولا اعرف حتى كيف ارشح. وتذهب مع هذا الرأي المواطنة نيران يحيى (٣٤ عاماً) التي قالت لنا انها لا تعرف شيئاً عن الانتخابات سوى انها ستجري في بداية السنة القادمة ولم تسمع حتى الآن، ان احداً قد رشح نفسه عن اي شيء، فكيف نعرف من ننتخب!.

مسؤولية الاعلام

الدكتور علي جابر (٣٨ عاماً) اكد لنا جهله بالكثير من امور الانتخابات، لكنه اوضح ان هذه الضبابية ربما تكون لأسباب امنية، وان لم تكن كذلك فإن الاعلام يتحمل مسؤولية كبيرة في انتشار مثل هذا الجهل بأمور الانتخابات، ويؤيده في هذا الرأي المواطن شورش علي (٣٧ عاماً) معلم بقوله: انه على الرغم من متابعته، الا ان ما يقرأه وما يسمعه من وسائل الاعلام لا تعطيه فكرة واضحة ، و على الرغم من ذلك فإنه سينتخب مرشحاً ديمقراطياً من دون الالتفات الى انتمائه الطائفي او القومي.

القائمة الديمقراطية

اكدت المواطنة رجاء خضير (٥٧ عاماً) موظفة، انها تعتقد بأن الترشيح سيكون عن طريق القوائم، وانها ستدلي بصوتها للقائمة الديمقراطية الوطنية التي يتضمن برنامجها تأكيد تطوير المسيرة السياسية الديمقراطية الحالية وصيانة حقوق المرأة خصوصاً، وتؤكد هذا الاختيار الديمقراطي، ربة البيت المواطنة شذى عبد الرزاق (٤٥ عاماً) التي قالت: انني اسمع بالانتخابات واعرف موعدها، ولا اعرف اي مرشح امنحه صوتي، ولكني سأعطي صوتي لمن اقتنع بأن برنامجه يدافع عن الحرية وعن العراق الجديد.

وجوهر جواب صاحب ورشة تصليح سيارات المواطن شامل حميد يصب بالاتجاه نفسه اذ قال: لا اعرف اشياء كثيرة عن هذا الموضوع، لكني سأرشح الذي يفيد الشعب ويعطينا حقوقنا.

مشكلة المرشح

بائع السمك جمال علي (٤٤ سنة) قال: انه يعرف ان الانتخابات ستجرى لكنه غير متأكد من موعدها وليست لديه اية فكرة عن الشخص الذي سيختاره ولكنه يقول: سأرشح الشخصية الوطنية المعروفة، ويعتقد أنه سمع بأن البطاقة التموينية ستعتمد في هذه العملية وكذلك صناديق الاقتراع اما بائع النفط محمد جاسم (٤٠ سنة) فقد حاول التملص من اسئلتنا، بحجة التعب والصيام، وكان خائفاً بعض الشيء لكنه قال في النهاية لا ادري من ارشح. وعند تصويره ترك حصانه وعربته لأنه كما قال لا يحب ان تظهر صوره في الصحف!!